

فواعل النظام الدولي الجدد في القرن الحادي والعشرين

و. سيف نصرت توفيق (الهرمزي)^(٥)

مدخل:

ان المتمعن في ثناياه دراستنا من العنوان الى الخاتمة سيجد الكثير من الإضافات غير التقليدية للفواعل المؤثرة في النسق الدولي او العالمي الذي اتسعت فواعله بشكل كبير وجلي والتي لم يدخل البعض منها في هذا حقل العلاقات الدولية، ومن هنا جاءت الحاجة الى رفد وتجديد وازافة الجديد من المفاهيم والاصطلاحات وفق المتغيرات الدولية المتسارعة التي تعصف بالنظام الدولي بمختلف الصعد للوقوف على أرضية خصبة تسعف الباحث الأكاديمي للوصول الى حقيقة الأشياء بعد اخرجها من المضممر الى المعلن.

لم يعد يقتصر النظام الدولي على الدول والمنظمات الدولية فحسب في إطار تفاعلاته، وانما تعدى ذلك الى ابعاد وانماط متعددة فهناك الفاعل الرقمي (الالكتروني) الذي اصبح مفتاح الهيمنة الخشنة والليننة على الوحدات الدولية ، وامسى مدخلا مهماً في العلاقات الدولية لاسيما القرن الحادي والعشرين حتى انتج لنا مقتربات متناثرة من الفواعل استطعنا بعد الاستقراء والاستنباط والمشاهدة لواقع التفاعل الدولي القائم على الثلاثي المتنافر (التعاون، التنافس، الصراع) من تشخيص الفواعل الجديدة التي دخلت الى الهرمية الدولية حتى ان هناك من يجعل تلك الفواعل الجديدة اكثر تأثيراً من الدولة بل ان هناك من ذهب ابعد من ذلك الى والغي دور الدولة ونقلها من الفاعل الرئيس الى الفاعل الثانوي في النسق الدولي، وبعيداً عن الجدل والمماحكة في اتون تلك

^(٥) كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت.

الآراء والأفكار المتضاربة في العلاقات الدولية فان الدراسة جاءت لفك اللبس بين وتقديم الفواعل في النظام الدولي بشكلها الجديد فرداً او مؤسسة او دولة .

١- إشكالية الدراسة:

تحاول الدراسة بناء إطار تحليلي، لدراسة معمقة في التصورات والرؤى للنظام الدولي وفواعله المتجددة من خلال تفكير جديد غير تقليدي بما يتناسب والافاق الزمانية والمكانية في ظل التغيير الدولي صعوداً ونزولاً ، وفي خضم هذا الطرح فإن هناك مجموعة من الاسئلة يثيرها موضوع الدراسة وتحاول الإجابة عليها وهي:

- ١- ما هو النظام\النسق الدولي او العالمي؟
- ٢- ماهي فواعل النظام العالمي التقليدية في حقل العلاقات الدولية؟
- ٣- ماهي الفواعل من غير الدول التي دخلت في حيز النظام الدولي مع التغيير الدولي الذي تزامن ومخرجات الفضاء السيبراني " Cyber Space"؟
- ٢- فرضية الدراسة:

تقوم الدراسة على فرضية مفادها ان هناك علاقة طردية ما بين الثورة التكنولوجية وازدياد اعداد فواعل النظام الدولي في ظل افول السيادة للدول، فكلما اتسع استخدام الفاعل الرقمي كلما انحسر دور الفواعل الدولية لحساب الفواعل من غير الدول مجموعات ومنظمات وحتى الأشخاص.

٣- المنهجية:

لا جدال في أن طرائق البحث العلمي تحتاج إلى تحديد منهج لأية دراسة يراد البحث فيها لتكون أكثر دقة. إذ يعد تحديد المنهج من أولى متطلبات البحث العلمي، كونه المرشد أو الدليل أو المفتاح للدراسة. ومن هذا المنطلق حرص الباحث على اعتماد مناهج عدة، لما اتسم به موضوع الدراسة من انتقالات بحثية متنوعة.

* كلمة ساير cyber : هي كلمة إنكليزية تأتي بمعنى الكتروني وتخيلي أي من الخيال او افتراضي ، ويعرف بانه ضبط الأشياء عن بعد والتحكم بها ، المصدر : منير البعلبكي ، قاموس المورد ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٤٣ .

واستجابة لمتطلبات الدراسة عمدنا إلى استخدام مناهج عدة منها المنهج الوصفي التزاماً منا لفهم مفردات النظام الدولي المتعارف عليها ووصف كل فاعل على حدا، وتم استخدام منهج التحليل لربط المعاني الوصفية بالمخرجات الجديدة للنظام الدولي، كما وتم الاعتماد على أسلوب الاستنباط الكمي والنوعي من الاحداث والمتغيرات الدولية التي شهدها العالم من احداث ١١ أيلول ٢٠٠١ وإلى انهيار المنطقة العربية وتفتيتها ودخولها في دوامة العنف والعنف المضاد في ظل تنامي محفزات الفاعل الرقمي الذي اصبح الجيش الالكتروني الداعم للجيش النظامية والجماعات الراديكالية واخرها سيطرة تنظيم "داعش" على ثلث مساحة العراق ١٠\٦\٢٠١٤ وأجزاء كبيرة من سوريا ما زال النظام الدولي يترنح في وضع تلك الاحداث ودراستها وفق منهجية علمية بدعم من مراكز الفكر للوصول الى الحقيقة التي انتجها من انتجها منهم وقع فيها من وقع من الدول الهشة والضعيفة.

٤-هيكلية الدراسة:

يتناول البحث الرؤية الكلية لفواعل النظام الدولي او العالمي، وتم تقسيمه الى مطلبين الأول تم طرح الرؤية التقليدية لوحدات النظام الدولي التي تتفاعل في اطاره العام المتمثلة بالدول والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، المطلب الثاني فقد جاء بما يتوافق وتطلعات الباحث للوصول الى الأهداف المنهجية لفهم الفواعل الجدد التي دخلت الى النظام الدولي فاصبح النظام ذو بعد عالمي يتجاوز الدولة متمثل بالحركات والجماعات الراديكالية ذات البعد العالمي والشركات متعددة الجنسيات الى جانب الأشخاص الدوليين ذو المكانة المعنوية وتداخل في تراتبية هذه الوحدات التقليدية والجديدة الفاعل الرقمي الذي يعد المحور والمدخل في كل تلك الفواعل لأنه يحدد قوة كل دولة بقدرتها على فرض الأفكار لضبط حركة الشعوب على إيقاع يتناسق وطروحات القوى الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية.

المطلب الأول: التعريف بالنظام الدولي:

ابتدأ الإجابة على تعريف النظام الدولي لكي يكون عوناً للقارئ في فهم إطاره المفاهيمي الذي أشبع بحثاً في متون الكتب النظرية والمفاهيمية بالتساؤل حول مدى الاتفاق على كينونة النظام الدولي وهل هناك مرادفات له او مفاهيم مقاربة تتداخل معانيها في متون الكتب والمراجع في العلوم السياسية.

اولاً: تعريف النظام الدولي والمفاهيم المقاربة له:

عند العودة الى المعاجم والقواميس وحتى الكتب المفسرة لنظريات العلاقات الدولية نجدها تتخذ اتجاهات مختلفة وتعطي معاني تتسع تارة وتنحصر تارة أخرى في تفسير اصطلاح النظام الدولي، ومن الأمور المسلم بها في حقل العلاقات الدولية ان استعمال اصطلاح النظام بدأ في الجوانب الاجتماعية ليمتد الى الجوانب السياسية والاقتصادية، ففي حقل العلوم السياسية "كارل دويتش وجابريئيل الموند" استخدموا مفهوم النسق system والنظام order في تحليل العلاقات السياسية الدولية.

فعندما نقول النسق الدولي فإننا نعني بذلك مجموعة من العناصر والوحدات المتفاعلة، او انه كيان عام تتربط عناصره ومكوناته على نحو يجعله يتفاعل ويتبلور في النهاية بشكل متميز عن غيره، اما النظام فانه ذلك البناء الشامل الذي يتشكل من مجموعة من النظم الفرعية والتي بحركتها وتفاعلها تعتمد في صنع وإنجاز وظائفها من خلال التفاعل في إطار البناء الذي تتحرك فيه.^(١)

وعندما نريد ان نعرف النظام الدولي يجب ان نتساءل هل هناك فرق ما بين النظام الدولي والنظام العالمي بعد فك اللبس بين مفهومي النسق والنظام؟ الحقيقة الجلية ان اكثر المفاهيم تداولاً فيما يخص حقل العلاقات الدولية هو اصطلاح النظام الدولي التي يتداخل في الوقت نفسه مع اصطلاح النظام العالمي ، فالأول يأتي بمعنى التفاعل ما بين الوحدات الدولية الذي تتألف من الدول والمنظمات

(١) وائل محمد إسماعيل ، التغيير في النظام الدولي ، مكتبة السنهوري للطباعة والنشر ، ط ١ ، بغداد-العراق ، ٢٠١٢ ، ص ٤٣-٤٤ .

الدولية وقد بدأت ملامح النظام الدولي تبرز بشكل جلي ما بعد الحرب العالمية الثانية وقيام نظم الثنائية القطبية وكان الدور الأبرز في كل المتغيرات الدولية قائم على الدول ومكانتها والدور الذي تلعبه وفق ما تملكه من قوة وقدرة مؤثرة تستقطب من يتمشى والايديولوجية المؤطرة لصورة القطب وتعادي وتستبعد من يخرج عن منظومتها الكلية ، وهذا حال النظام الدولي إبان الحرب الباردة ما بين المعسكرين الغربي -الرأسمالي، والشرقي - الاشتراكي .

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي انذر ببداية مرحلة جديدة اطلق عليها النظام العالمي الجديد كما صرح بذلك بوش الاب الذي اكّد انه يحمل في طياته رؤية شاملة للعالم ابعد من الدول ويتجاوز ويلغي الحدود فيدخل في هذا النظام كل فرد له قدرة على التأثير في الوحدات الرئيسة لاسيما واننا نعيش في عالم ما بعد الموجة الثالثة - عصر التكنولوجيا التي أصبحت في متناول كل فرد ، وهو ما اشر الأحادية القطبية والهيمنة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية ، وقد صرح بهذا الوضع القائم آنذاك "صموئيل هنتغتون" بالقول (ان النظام العالمي الجديد هو نتاج طبيعي لصدام الحضارات)^(١)، ويرى "بريجنسكي" بصورة صريحة ان النظام العالمي الجديد ينطلق من التفوق الأمريكي وله ملامح خاصة تتضمن الامن الجماعي والتعاون الاقتصادي والإقليمي والحرية التجارية الى جانب السيطرة الأمريكية على صناعة القرار الدولي.^(٢) ومن هنا نقف على اهم تعاريف النظام او النسق الدولي العالمي فيعرفه "موريست ايسن" (بانه نمط من التفاعلات والعلاقات بين الفواعل السياسية ذات الطبيعة الأرضية (الدول) التي تتواجد عبر وقت معين)^(٣).

(١) جمال سند السويدي ، افاق العصر الأمريكي ، السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد ، مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية ، ط٢ ، ابوظبي -الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٥، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٣) عبد القادر محمد فهمي، النظام السياسي الدولي: دراسة في الاصول النظرية والخصائص المعاصرة، دار وائل للنشر ط١، عمان - الاردان ، ١٩٩٧، ص ١٥ .

اما "مارتن كابلن" فيعرف النظام الدولي بانه: (وجود مجموعة من القواعد والقيم والمعايير المترابطة التي تحكم عمل العلاقات بين الدول وتحدد مظاهر الانتظام والخلل فيها خلال فترة معينة من الزمن)^(١)

وهناك من يعرفه بانه: (مجموعة من القواعد المنظمة للعلاقات بين أطراف محددة في وقت معين قائم على التفاعل الثلاثي (التعاون - الصراع - التنافس)). في حين ذهب اخرون الى القول انه: (مجموعة القواعد العامة للتعامل الدولي في جوانبه الصراعية والتعاونية، كما تضعها القوى الكبرى في الجماعة الدولية، وتفرضها على القوى الاخرى في مرحلة تاريخية معينة).

اما المختصين في العلاقات الدولية فيعرفونه بانه: (مجموعة من الوحدات المترابطة نمطياً من عملية التفاعل، فالنظام\النسق يتميز بالترابط بين وحداته ، كما ان التفاعل يتسم بالنمطية على نحو تمكن من ملاحظته وتفسيره والتنبؤ به).^(٢)

اما ما نميل له نحن في دراستنا هذه هي المدرسة الواقعية الجديدة الأمريكية الذي تعرفه بانه: (مجموعة من المبادئ والقواعد المضمرة والمعلنة ومعايير وإجراءات لاتخاذ القرارات يعدها اللاعبون مشروعة في مجال معين في الساحة الدولية ، وتحدد طبيعة المشكلة المطلوب علاجها طبيعة المشاركة والشكل المفضل للتعاون او التنافس او الصراع،^(٣) الذي قد يكون صفرياً وقد يكون غير صفري من حيث المكسب والخسارة).

اما شكل النظام\النسق الدولي فقد يكون "احادي القطبية" **unipolar order**، وذلك عندما يتركز كبير للموارد والقدرات لدى دولة واحدة او مجموعة متجانسة من الدول بحيث تسود الهيكل \ البنيان الدولي بأسره. كما قد يكون "ثنائي القطبية" **bipolar order**، وذلك عندما يتركز النفوذ الدولي بين

(١) عبد المنعم سعيد، العرب ومستقبل النظام الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ١٩٨٧، ص ١٦.

(٢) محمد سيف حيدر النقيد، نظرية نهاية التاريخ وموقعها في اطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي

الجديد، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ابو ظبي - الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه .

دولتين او قطبين او كتلتين رئيسيتين تتوزع فيما بينهما القدرات، وقد تكون ثنائية جامدة **tight bipolar order**، وذل عندما تشكل معظم وحدات النظام الدولي كتلتين متصارعتين، ولا مكان للدول غير المنحازة، كما ان الثنائية القطبية قد تتسم بالمرونة **loose bipolar order**، وذل عندما توجد مجموعة من الدول المحايدة التي لا تدخل في فلك أي من القطبين المتصارعين. وقد يكون النظام الدولي "متعدد الأقطاب" **Multipolar order**، وذلك عندما توجد مجموعة من الدول او الأقطاب تمتلك موارد او إمكانات متكافئة تقريبا، وعندئذ يعرف هذا النظام اصطلاحاً بنظام توازن القوى.^(١)

وبعد استعراض التعاريف والغاية من المسميات فان الراجح في حقل العلاقات الدولية ان مفهوم النسق اقرب منه من النظام ، لان الأخير يطلق عادة على مجموعة من القواعد التي تسري على الجميع في الاطار الذي تتفاعل فيه ، وهذا غير موجود لا في العلاقات ما بين الدول ولا في المنظمات المحددة لشكل النظام السياسي او الاقتصادي فالدول المتقدمة لها صوت مؤثر في المنظمات الدولية الاقتصادية بحجم اسهامها في ميزانية صندوق النقد الدولي او البنك الدولي وبالتالي لوجود لقاعدة تسري على جميع الدول ، وكذلك الامر في مجلس الامن فان هناك ٥ دول يحق له النقض في القرارات الدولية ، وبعد طرح هذه المبررات فان مقترح النظام يكون اقرب الى النظام في إطارالدولة الواحدة والحالة المجتمعية فيه اما النسق فهو اكثر التصاقاً بالتفاعلات الدلية التي تعمل على تناسق علاقاتها وفق مصالحها ووفق مكانتها الدولية وبالتالي تأثيرها فهي الحاكم لحركة الوحدات الدولية.

المطلب الثاني: الفواعل التقليدية:

ان العدد الأكبر من الافتراضات المنطقية التي يضعها الخبير الاستراتيجي بخصوص البيئة الاستراتيجية او الإطار العالمي له علاقة بدوافع وقوة الفاعلين الآخرين في النسق العالمي، وبالتالي تكون الرغبة عند التحضير لمصادر التحليل لدى الخبير

(١) محمد سيف النقيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ .

الاستراتيجي معرفة الفواعل بتفاصيلها ومن هو الصديق ومن هو العدو لدولته وما هو إطار التفاعل القائم على الثالوث المتغير (صراع - تنافس - تعاون) لفهم أعمق لنمط العلاقات مع كل وحدة سواء اكانت رئيسة ام ثانوية.

عند العودة الى المضامين المنهجية باستجلاء والى الجذور التاريخية لفكرة النظام الدولي نجدها في الاتفاقية الدولية (ويستفاليا)، اذ يجمع أغلب الباحثين في العلاقات الدولية أن الفضل يرجع في نشوء ما أضحى يسمى الآن النسق الدولي إلى اتفاقية (ويستفاليا) ١٦٤٨م، هذه الاتفاقية التي أرسى أسس الدولة القومية الحديثة، القائمة على مفهوم السيادة، ومبدأ عدم الاعتداء، واحترام حرمة الحدود للدول المستقلة. اذ برزت الدولة كفاعل وحيد في العلاقات الدولية، وأصبحت الدولة ظاهرة جغرافية وسياسية.

وعند العودة الى فواعل النظام الدولي فانه يضم في هيكله واطاره العام وحدات فاعلة تؤثر وتتأثر في الأفعال الناتجة عن الجزئيات وبالتالي فان السلوك الذي من اهم خواص النظام الدولي لاسيما في القرن الحادي والعشرين خاصية اللاتجانس في فواعله فالنسق السياسي الدولي يشكل نظاماً غير متجانس، حيث تتجلى مظاهر عدم التجانس في:

١. حالة التباين الشديد بين وحدات النظام الدولي من حيث الحجم والقوة والقدرة رغم تمتعها نظرياً بالسيادة.
٢. العلاقة غير المتوازنة بين دول الشمال ودول الجنوب، فعلى صعيد التجارة الدولية تستحوذ الدول الصناعية النصيب الأعظم من النشاط التجاري العالمي في حين لا يمثل نصيب الدول النامية إلا قدراً ضئيلاً. وبالتالي نكون امام نظرية المركز والأطراف.
٣. وتظهر حالة انعدام التجانس في ازدياد الهوة التكنولوجية بين مجموعة قليلة من الدول المتطورة وبين الدول المتخلفة في المجال المعلوماتي والتكنولوجي، ما خلق حالة من التبعية التكنولوجية نتيجة سيطرة الشمال على أدوات الثورة العلمية والتكنولوجية. وهو ما سنعالجه في بحثنا.

وقبل الخوض في اتون الوحدات التي تتحرك في دائرة النسق الدولي او العالمي فانه من المهم التعرّيج على المفهوم والتعريف للنسق الدولي للوقوف على أرضية خصبة تسعفنا في البناء العلمي والأكاديمي لبحثنا.

وبذلك يمكن تقسم الفواعل في النظام الدولي بحسب التصنيف التقليدي:
اولاً: الفواعل الدولية: يتمثل هؤلاء الفاعلون اساساً في الدول القومية (Nation-States) التي لايزال لها الثقل الضارب والنفوذ المؤثر من بين كل القوى التي تتحرك على المسرح السياسي، وان ما يميز الفواعل الدولية انها تتحرك بصلاحيات سيادية كاملة وغير مشروطة الا بما تتوافق ومصالحها وما ترتضيه ارادتها الحرة دون قيد او اكراه خارجي.^(١)

وتضم كل من الدول التي يتفق عليها المعنيون في العلاقات الدولية بأنها الفاعل الرئيس في هيكل النظام الدولي، لما تمتع به الدول بصفة السيادة، لأن الاخيرة تميز الدولة عن غيرها من الجماعات الدولية. بل المدرسة الواقعية التقليدية تعد الدولة الفاعل الوحيد في النظام الدولي، وما سواه يأتي تبعاً.

اذ يستندون في ذلك بان الدولة تتمتع بالشخصية القانونية مما يسمح لها بان تكون موضوعاً وفاعلاً للقانون الدولي. وحين تكتمل عناصر قيام الدولة اكتمالاً صحيحاً ويصبح معترفاً بها من جانب مثيلاتها، تتمتع هذه الدولة من الناحية القانونية بالسيادة.
ان الدول لا تتساوى في الواقع على الرغم من انها تتساوى قانونياً، سواء من حيث المساحة او تعداد السكان والموارد الحالية والمحتملة ولا القدرة التكنولوجية وكذلك لا تتساوى من حيث قدراتها العسكرية والجمع بين هذه المتغيرات هو الذي يسمح لنا بوضع ترتيب هرمي يسمح بتحديد دورها وقدرتها على التدخل في المسرح الدولي. غير ان المعطيات المادية ليست هي الحاسمة، فالدول تختلف من حيث نظمها السياسية والاقتصادية ومن حيث الايديولوجية السائدة.

^(١) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية النظرية والواقع، المكتبة الاكاديمية، ط ١، القاهرة - مصر، ٢٠١١، ص ٩٦.

والواقع الموضوعي يشير أنه من خلال معيار القوة تنقسم الدول في هيكل النظام الدولي الى:^(١)

١-الدول العظمى: وهي التي تمارس تأثيراتها في نطاقات متعددة على مستوى العالم، كالولايات المتحدة.

٢-الدول الكبرى: وهي التي تمارس تأثيرها في نطاقات محدودة وهي ترغب بالقيام بدور عالمي بيد إن قدراتها لا تتناسب ومقوماتها او بسبب تكلفة الدور، كفرنسا وبريطانيا والصين واليابان.

٣-الدول المتوسطة: وهي التي تمارس تأثيراتها في معظم انماط التفاعلات على مستوى الاقاليم ليس بمقدورها ان تلعب دوراً عالمياً، لكنها تملك وسائل تمكنها من لعب دور اقليمي مثل البرازيل.

٤-الدول الصغيرة : وهي التي لا تمارس تأثيرات ذات اهمية خارج حدودها، ودائرة الجوار المباشر، وهي تلعب دوراً محلياً، كنيكارغوا، البحرين.

٤- الدول الصغيرة جداً : وهي دول ذات تأثير محدود جداً وليس لها تأثير في الشؤون العالمية ، وتشمل ايسلندا وجزر المالديف والفاتيكان وغيرها.^(٢)

اما القرن الحادي والعشرين فيعد قرن (الالكتروني - ما بعد الموجة الثالثة) اذ يضع الدول المتقدمة في المجال التكنولوجي والمعلوماتي في مقدمة الدول الفاعلة والأكثر تأثيراً في النظام الدولي او العالمي، وهذا ينسحب على باقي مقومات قوة الدولة المادية وغير المادية وصولاً الى مفهوم القدرة الذي يحدد مكانة الدولة من حيث الفعل واستخدام القوة وليس امتلاكها.

وفي هذا الإطار يؤكد "زيغنيو بريجنسكي" (يبدو ان دور الدولة يتراجع كوحدة اساسية في المجتمع الدولي وفي حياة الفرد ويعود هذا الانحسار الى نهاية الحرب

^(١) سيف نصرت توفيق الهرمزي، مقتربات القوة الذكية كآلية من اليات التغيير الدولي... الولايات المتحدة الأميركية انموذجاً، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط ١، بيروت-لبنان، ٢٠١٦، ص ٨٨.

^(٢) ينظر: خليل حسين، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩، ص ٤٦.

الباردة عندما بزغت فواعل غير الدولة على حساب الأخيرة قوة التغيير الرئيسية، خاصة بعدما أصبحت المصارف الدولية والشركات المتعددة الجنسيات والجماعات الراديكالية والارهابية ذات البعد العالمي تنشط بشكل أكثر متجاوزة المفاهيم السياسية للدولة.^(١)

اصبح العالم الرقمي هو عنوان للوحدات الدولية الفاعلة ، وبرزت في هذا المحور انماط ومفردات جديدة من الهويات المتجاوزة لنموذج الدولة القومية تتحرك الكثير من الهويات (اثنية ، لغوية ، دينية) بصورة بنائية جديدة واعلنت عن مكانها المستقل ذاتيا في المجالات المؤسسية الرئيسية (البرامج التعليمية، اجهزة الاعلام ... الخ).وتعكس هذه التطورات تحلل الخصائص البنوية الاساسية للدولة وخصوصا ضعف الهيمنة الايديولوجية وصولاً الى اضعاف السيادة الوطنية والولاء ان لم نقل الانعدام في ظل انتقال الولاء باتجاه المذهب او القومية أينما حلت خارج حدود الدولة الواحدة، واهم مظاهر هذا الضعف فقدانها جزء من سيطرتها على العنف المحلي والدولي الذي اصبح في يد الجماعات الراديكالية و الانفصالية.^(٢)

ومما تجدر الإشارة اليه في أهمية الدولة كوحدة رئيسة في النظام الدولي فان الدول لها اتجاهين في حركتها الأول: تتحرك وفق مقومات قوتها المادية وغير المادية وبالتالي قدرتها على استثمار تلك المقومات بما يخدم اهداف الاستراتيجية الشاملة، والثاني: انها تتحرك بموجب مجموعات او كتل سياسية او اقتصادية، تجمعهم أفكار ومصالح تتفق وتطالعاتهم الخارجية، على سبيل المثال لا الحصر تكتل "بريكس" (B.R.I.C.S) الذي يضم كل من (البرازيل وروسيا الاتحادية والهند والصين وانضمت فيما بعد جنوب افريقيا). اذ كان لهذه التكتل اهداف تحاول إعادة صياغة النظام الدولي بما ينزع الهيمنة الأميركية على وجه الخصوص والغربية بشكل عام وادماج

(١) زبنيو بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيو استراتيجياً، ترجمة مركز الدراسات العسكرية، ط٢، بيروت -لبنان، ١٩٩٩، ص ٤١.

(٢) محمد غالب ، البنية الجديدة للنظام الدولي في العقد الثاني من القرن العشرين ، دراسات سياسية ، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر ، العدد ٢٢، اذار ٢٠١٤، ص ٣ .

فاعلين جدد من القوى الصاعدة والعمل على ضرورة تفعيل عدم استخدام القوة في النظام الدولي، وإصلاح الأمم المتحدة، لاسيما في مجلس الأمن الدولي "لجعله أكثر فاعلية وتمثيلاً"، أما الوجه الاقتصادي فإن النظام الرسمالي أصبح السمة الأبرز لشكل النظام الاقتصادي العالمي فالكمل يقبع تحت وطأة نظرية المركز (الدول الرأسمالية المتقدمة) والأطراف (باقي دول العالم) التي ترتبط بالمركز ويستنزف الفائض المالي والنقدي وفي مقدمتها الموارد الأولية التي تكون في مقدمة أولويات استمرار عجلة الصناعة والتكنولوجيا للمركز الرأسمالي.^(١)

وبالتالي فإن التكتلات التي تشكلها الوحدات الرئيسة في النظام الدولي لها أهمية في التأثير والتأثر على باقي منظومة النظام وهو ما يكسبها الأهمية في تحديد مسارات التغيير وفق المعطيات التي تترتب من السلوك الكلي للتكتل وهذا الأمر لا يقتصر على هذا التكتل فحسب وإنما يتسع إلى أبعد من ذلك.

ثانياً: المنظمات الدولية:

هي جماعات قائمة بموجب معاهدة بين عدد من الدول، وجودها يعبر عن ظاهرة التعاون في إطار النسق الدولي، ويتفق جميع المختصين في التنظيم الدولي بأن المنظمات الدولية لاعب مهم في العلاقات الدولية إلا أنهم يختلفون في عدها لاعب رئيس أم ثانوي.

وهذه المنظمات تكون ذات اتجاهين دولي وإقليمي وتقوم على مبدأ المشاركة الاختيارية، بمعنى أن الدول المنضوية تحت إطار هذه المنظمة تقبل بالانضمام إلى هذه العضوية متى ما توافقت مع الرؤية والأهداف المرسومة لها. ويكون تأثير هذه المنظمات بحسب الدول المنتمية إليها التي أشرنا لها آنفاً، فالدول الكبرى لاسيما الدول الأعضاء

^(١) ينظر : ماهر إبراهيم القصير ، تكتل دول البريكس .. نشأته ، اقتصادياته ، أهدافه (، دار الفكر العربي ، ط١ ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٤ ، ص ص ١٢-٢٠ .

الدائمة العضوية في مجلس الامن يكون لها تأثير في القرارات الدولية الصادرة عن المنظمة بخلاف الدول الضعيفة (دول العالم الثالث).^(١)

ومن اهم المنظمات الدولية التي شكلت الإطار السياسي والأمني للنظام الدولي منظمة الأمم المتحدة التي تحتضن أكثر من (١٩٥) في عضويتها وجاء تأسيس هذه المنظمة لتشكيل جوهر النظام الدولي القائم على القوى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية بعد افول القوى الأوروبية واندحار اليابان، فقد اريد بالأمم المتحدة ان تكون مشروعاً سياسياً وترتكز على مجلس الامن فهو المسؤول عن حفظ السلم والامن الدوليين كما في المادة (٣٩) من ميثاق الأمم المتحدة ، وفي هيكلته مجلس الامن الذي يعد الأداة الدولية التي حددت مسار الكثير من القضايا الدولية الذي يعتمد على الأعضاء الدائمين محور النظام الدولي (الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة البريطانية وروسيا الاتحادية والصين وفرنسا)،^(٢) والحقيقة ان الجهاز السياسي للنظام الدولي كان في ظل الحرب الباردة يعمل وفق الصراع والتنافس الأيدولوجي الذي كان قائماً آنذاك ابان الحرب الباردة عام ١٩٩١ تبلور عمل المنظمة وفق القطبية الأحادية الأميركية الغربية. وكان للأمم المتحدة أدواراً كبيرة في التدخل الإنساني والحروب العسكرية التي تصب في المحصلة لصالح الأعضاء الدائمين وبالتحديد الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها ولسنا بصدد الخوض في ثنايا القضايا التي عالجتها منظمة الأمم المتحدة او جهازه التنفيذي.

اما اهم المؤسسات والمنظمات الاقتصادية الدولية التي حددت شكل النظام الاقتصادي الدولي فقد تمثل بالثالوث الاقتصادي المقدس، وكانت البداية من اتفاقية (بريتون وودز) في عام ١٩٤٤ التي افرزت صندوق النقد الدولي (IMF) الذي يعنى بتحقيق الاستقرار في أسعار الصرف العالمية والبنك الدولي (IB) الذي يهتم بإعادة

(١) ينظر: إسماعيل صبري مقلد، مصدر سبق ذكره، ص ص ١١٠-١١٣.

(٢) عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأميركية ، دراسة في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري ، دار الشوق للنشر والتوزيع ، ط ١، عمان - الأردن ، ٢٠٠٩، ص ص ١١٠-١١١.

الاعمار والتنمية ومنظمة التجارة العالمية (WTO) التي تعمل على تحرير التجارة الدولية،^(١) اذ شكلت هذه المنظمات الثلاث الرثة الخارجية للنظام الرأسمالي وهي بذلك خلقت نظاماً اقتصادياً دولياً محاذياً الى النظام السياسي الدولي المتمثل بالأمم المتحدة، فاصبح العالم تحت مظلة قطبين ابان الحرب الباردة حتى افول الاتحاد السوفيتي وتفككه وبذلك اصبح النظام الدولي رأسمالياً يمثل نفوذ وهيمنة القوى الكبرى الولايات المتحدة الأميركية والدول الاوربية وأصبحت الأخيرة في تكتل ذو صفة اقتصادية افرز عنه بعد مراحل من التطور التدريجي الى الاتحاد الأوربي، فما زالت التكتلات والمنظمات الدولية تتسارع من حيث العدد والتأثر حتى اصبح دور الدول من حيث المفهوم التقليدي ثانوياً طبقاً لقواعد السيادة امام الكم الهائل من تلك المخرجات التنظيمية بمختلف اشكالها السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية ... الخ.

المطلب الثالث : الفواعل الجدد من غير الدول:

عندما شرعت في البت بهذا الموضوع الحيوي في العلاقات الدولية وجدت انه من المهم العودة الى الكتب الأجنبية التي لها باع وعمق في معالجة تلك المفاهيم والقضايا ، ومما زاد من ذلك الغزارة في البحوث والدراسات التي ذهبت ابعدها مما نطلبه نحن في عالمنا العربي او الشرق اوسطي ، فوجدت دراسة على سبيل المثال مخصصة لسن قوانين جديدة تتعلق في التعامل مع الفواعل غير الدولية بكافة انماطها وصنوفها وكيفية التعامل معها سواء اكانت القانونية منها ام الخارجة عن القانون وهي دراسات داعمة للسلطة التشريعية في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا. فهم قد تجاوزوا مرحلة التنظير الى مرحلة التشريع، وهذا ليس مستغرباً لان هذه الدول المتقدمة استفادة من تجاربها وبدأت مشوراها بالبحث عن الحلول وليس البحث في المشاكل وهذا ما أغرق الشرق الأوسط والمنطقة العربية به، اذ ان الدراسات التي تقدم والاطروحات التي تبزغ تبقى رهن المكتبات (حبر على ورق)، ولا يطلع عليها أي

(١) محمد عيسى عبد الله وموسى إبراهيم ، العلاقات الاقتصادية الدولية ، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر ، ط ١ ، بيروت -لبنان، ١٩٩٨، ص ٢١٥ و١٨٧.

صاحب قرار او برلماني في معظم الحالات، بل ان مراكز الدراسات والفكر هي مراكز لدعم صانع القرار بما يريده لا دعمه وفق المنطق والمعقول والتصور الأكاديمي.^١ وحتى لا أسهب في تلك الجدلية العقيمة التي نعيشها، فان هذه الدراسة جاءت لدعم المعطيات الاكاديمية وتطويرها بما يتسق وقواعد القرن الحادي والعشرين وحتى استشراف المستقبل من الفواعل فيما بعد. وبعد اتساع مفهوم النظام الدولي وتطوره نحو النظام العالمي دخل حيز الأخير الفاعل غير الدولي عادة ما يكون فاعل غير شرعي (غير معترف به) او خارج عن القانون (المحلي - الدولي) باستثناء بعض المنظمات غير الحكومية وغير الربحية لاسيما وان سياقات النظام الدولي بشقيه السياسي المتمثل بالأمم المتحدة والاقتصادي المتمثل "بالثالوث الاقتصادي المقدس" الصندوق والبنك الدولي الى جانب منظمة التجارة العالمية لا تقبل غير الدول والمنظمات الدولية وخارج هذا الإطار فهو يخرج عن دائرة الدولي والشرعية الدولية، ويوجد في إطار العلاقات الدولية عدد من التدفقات تخرج عن نطاق سيطرة او رقابة الاجهزة الحكومية كانتقال الافراد، ورؤوس الاموال، والافكار، وهذا النوع من التدفقات يطلق عليه بالقوى عابرة القومية.

ويقصد بالقوى عابرة القومية هي الحركات والتيارات التضامنية الصادرة عن المبادرة الخاصة التي تحاول تثبيت دعائمها عبر الحدود وتهدف الى الترويج وتغليب وجهة نظرها في النظام العالمي، ويمكن التميز بين نوعين من القوى عابرة القومية، اذ تستفيد بعض المنظمات التي لا تهدف الى الربح، بنوع من الاعتراف يمكنها من ان تلعب دوراً استشارياً لدى المنظمات الدولية، اما إذا هدفت المنظمة الى الربح فان القانون الدولي يتجاهلها ويتعامل معها انطلاقاً من القواعد التي تتضمنها القوانين الوطنية.

¹ لمزيد من التفاصيل ينظر : سيف نصرت الهرمزي ، النظام الاقتصادي الدولي ما بعد بريتون وودز ، محاضرات القيت على طلبة المرحلة الثالثة ، كلية العلوم السياسية - جامعة تكريت ، تكريت - العراق ، ٢٠١٦ ، ص ٢٦ .

See too: William A. Schabas, Punishment of Non-State Actors in Non-International Armed Conflict, Fordham International Law Journal, Volume 26, Issue 4, 2002, Article 3, pp907-910.

أولاً : المنظمات الدولية غير الحكومية :

بداية نشأة هذه المنظمات يعود الى نهاية القرن التاسع عشر وتوسع بشكل أكبر في النصف الثاني من القرن العشرين اذ شهدت تطوراً سريعاً لشكل اخر من المؤسسات الدولية بالتوازي مع نشؤ المنظمات الدولية الحكومية، و المنظمة الدولية غير الحكومية يمكن تعريفها بانها : (عبارة عن بنية تعاونية في مجال محدد وتجمع مؤسسات غير دولية مثل منظمة أطباء بلا حدود ومنظمة العفو الدولية وغيرها من المنظمات والاتحادات والنقابات بمختلف اشكالها).^(١) ويمكن تعريفها: (بأنها منظمة تأسست بموجب مبادرة خاصة بغية تحقيق أهداف ذات مصلحة عامة. يمكن أن تحظى المنظمات غير الحكومية بأشكال قانونية متعددة، غير أنّ معظمها تتخذ شكل جمعيات أو مؤسسات لا تستهدف الربح).^(٢)

وهناك ثلاث مقاييس مهمة يضعها المختصون في العلاقات الدولية والمفكرين الاستراتيجيين للتمييز ما بين المنظمات الدولية غير الحكومية عن الهيئات او الشركات متعددة الجنسيات، وهي الصفة الدولية لتشكيلها وأهدافها، والصفة الخاصة لنظامها الداخلي ولنشاطها، والطابع المجاني لنشاطاتها الى جانب المجال الإنساني في اغلب اتجاهاتها، والهدف الأسمى لهذه المنظمات الدفاع عن المصالح الخاصة بوجه سلطة الدولة.^(٣) والحقيقة التي يمكن تلمسها ان الأمم المتحدة قد ابتكرت مفهوم المنظمة غير الحكومية في صورتها الحالية، من أجل تحديد المنظمة المستقلة عن الدولة. والمنظمة غير الحكومية هي منظمة تتوفر فيها المعايير التالية وفق معطيات الأمم المتحدة:^(٤)

^(١) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، العلاقات الدولية، ترجمة حنان فوزي حمدان، دار ومكتبة الهلال، ط ١، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩، ص ص ٥٧-٥٨.

^(٢) المصدر نفسه.

^(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.

^(٤) دليل عملي للمنظمات غير الحكومية، سويسرا، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط الاتي :

<http://www.mandint.org/ar/guide-ngos>

تم الاطلاع بتاريخ ٢٠١٦\٦\٢٨

١. هيكلية شبيهة بهيكلية منظمة تحظى بنظام تأسيسي وشكل قانوني.
 ٢. مؤسسة على يد أفراد أو منظمات مستقلة عن الدولة.
 ٣. هيئات اتخاذ القرارات فيها مستقلة عن سلطات الحكومة.
- والمنظمات غير الحكومية الدولية هي هيئات (خيرية) عالمية تضطلع بجمع التبرعات من مجموعة متنوعة من المصادر، شاملة عموم الجمهور، بهدف مساندة مشروعات في بلدان العالم الثالث. وتكون هذه المنظمات أحياناً منظمات متخصصة، حيث تركز على مجالات بعينها، مثل: الرعاية الصحية، أو الزراعة، أو جهود الإغاثة في حالات الطوارئ، أو البيئة، أو التعليم، أو تنمية المجتمعات المحلية، أو الإقراض الأصغر، أو مزيج من هذه المجالات. إلا ذلك الأمر يطرح الكثير من التساؤلات حول الأهداف والتمويل الكبير لبعض المنظمات غير الحكومية لاسيما وإن هناك تشكيك بارتباطها أو بعض موظفيها وأعضائها بمخبرات دول أخرى لها أهداف أبعد من الهدف الإنساني الذي يجذب الجميع وبالفعل فقد كان لبعض منظمات المجتمع المدني الداعية للديمقراطية وحقوق الإنسان دور في إشعال فتيل الثورات في المنطقة العربية رغم صدق المطالب إلا أن قطف الثمار يتعد في المحصلة عن القاعدة الجماهيرية صاحبة الفعل وتصبح الضحية، وتحول المكاسب إلى قوى إقليمية أو دولية لها مصالح من هذا التغيير. ولسنا بصدد تقييم تلك المنظمات بقدر تأكيد دورها في التغيير الدول في ظل اتساع رقعة فواعل النظام العالمي الذي خرج عن إطار قيمته الدولة إلى روح العالمية في ظل العولمة .

ثانياً: الشركات متعددة الجنسيات:

تعد الشركات متعددة الجنسيات ذات بعد اقتصادي عالمي وهي المفتاح الأول للعولمة التي شهدتها العالم بشكل واضح في العقد الأخير من القرن العشرين ومع التغيير السريع أصبح عالم اليوم بنظام عالمي من حيث التأثير وارتفاع وتيرة فواعله مع دخول التكنولوجيا في كل مجال وسهولة الحصول عليها من قبل الأفراد، أطلق عليها في بداية ظهورها الشركات المتعددة الجنسيات **Multinational Company**، حيث

كانت ملكيتها تخضع لسيطرة جنسيات متعددة، كما يتولى إدارتها اشخاص من جنسيات متعددة وتمارس نشاطها في بلاد أجنبية متعددة على الرغم من أن استراتيجياتها وسياساتها وخطط عملها تصمم في مركزها الرئيس الذي يوجد في دولة معينة تسمى الدولة الأم (Home Country)، إلا أن نشاطها يتجاوز الحدود الوطنية والإقليمية لهذه الدولة وتتوسع في نشاطها إلى دول أخرى تسمى الدول المضيفة Host Countries. وفي مرحلة لاحقة رأت لجنة العشرين، والتي شكلتها اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة في تقريرها الخاص بنشاط هذا النوع من الشركات ان يتم استخدام كلمة Transnational بدلاً من كلمة Multinational، واتضح بأن هذه الشركات تعتمد في انشطتها على اسواق متعددة في الدول، كما أن استراتيجياتها وقراراتها ذات طابع دولي وعالمي، ولهذا فهي تكون شركات متعددة الجنسيات ، حيث تتعدى القوميات ، ذلك لأنها تتمتع بقدر كبير من حرية تحريك ونقل الموارد ومن ثم عناصر الانتاج من رأس المال والعمل فضلاً عن المزايا التقنية أي نقل التكنولوجيا بين الدول المختلفة وهي مستقلة في هذا المجال عن القوميات أو فوق القوميات Supra National، وهي بالتالي تساهم ومن خلال تأثيرها في بلورة خصائص وآليات النظام الاقتصادي العالمي الجديد والتأكيد على عالميته.^(١) ومن المهم التفريق ما بين مجموعة من الاصطلاحات التي تعطي معاني مختلفة لأسماء الشركات:^(٢)

١. الشركات متعددة الجنسيات Multinational companies:

هي شركة او شركات ملكيتها تخضع لسيطرة جنسيات متعددة كما يتولى إدارتها أشخاص من جنسيات متعددة وتمارس نشاطها في بلاد أجنبية متعددة على الرغم من أن استراتيجياتها وسياساتها وخطط عملها تصمم في مركزها الرئيس الذي يوجد في دولة معينة تسمى الدولة الأم ، إلا أن نشاطها يتجاوز الحدود الوطنية والإقليمية لهذه

^(١) كريم نعمه ، أهمية ودور الشركات متعددة الجنسيات في النظام الاقتصادي العالمي الجديد، أوراق سياسية ، الجزائر، العدد ١٠، تشرين الأول ٢٠١٦.

^(٢) شارل حسو ، الشركات متعددة الجنسية ودورها في الاقتصاد العالمي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، حلب- سوريا، ٢٠٠٦، ص ٤٦.

الدولة وتتوسع في نشاطها إلى دول أخرى تسمى الدول المضيفة ، بمعنى انها الشركات التي تشترك في اسهمها أكثر من دولة ولديها استثمارات خارج بلدانها، وتعتمد على اللامركزية في ادارة انتاجها، فهي ليس لديها دور تنسيقي حول عرض المنتجات في كل بلد، وانما تركز على التكيف مع المنتجات والخدمات في كل الاسواق المحلية الفردية التي تستثمر فيها. وتعمل الشركات متعددة الجنسيات على الاستثمار في المناطق التي ترتفع فيها معدلات الربح مع تنويع وتغيير نشاطها ومراكز انتاجها بما يتلاءم وتحقيق ذلك الهدف.

٢. الشركات عابرة القوميات Transnational companies:

وهي احدى أكثر المنظمات والشركات تعقيداً، فهي شركات يكون لها جنسية واحدة وشركة ام واحدة تسيطر على الانتاج والتحكم بمسائل الانتاج والتسويق فضلاً عن احتفاظها بكل التقنيات والميزة التكنولوجية في بلدين او أكثر، لكنها لديها فروع تصنيع خارج حدودها لأسباب تتعلق بانخفاض كلفة الانتاج وانخفاض اجور الايدي العاملة والظروف الاستثمارية او القرب من الاسواق العالمية الاستهلاكية.^(١) على سبيل المثال شركة (أبل Apple) لصناعة الأجهزة والحاسبات اللوحية والهواتف الذكية المحدودة، فهي شركة أميركية الجنسية وان شركتها الام ومقرها الرئيس الذي يتحكم بالإنتاج والتسويق والبحث والتطوير في اميركا، اما مصانعها فهي خارج الولايات المتحدة الأميركية وبالتحديد في الصين وهونك كونك.

٣. الشركات العالمية Global companies:

هي الشركات التي لديها استثمارات موجودة في الكثير من الدول. أي انها تسوق منتجاتها من خلال استخدام نفس نسق (صورة العلامة التجارية) في جميع الأسواق. وهي عموماً لديها مكتباً واحداً للشركة هو المسؤول عن الاستراتيجية العالمية. يعمل على التأكيد على وحدة التخزين، وإدارة التكاليف والكفاءة. ومن

^(١)LEE IWAN, Difference between a global, transnational, international and multinational company, 18-06-2007:

<http://leeiwan.wordpress.com/2007/06/18/difference-between-a-global-transnational-international-and-multinational-company/>

الشركات العالمية: متاجر وول مارت الأمريكية Wal-Mart Stores ، يخدم وول مارت أكثر من (١٠٠) مليون عميل في (٢٦) بلداً في الأسبوع. وهي الشركة الأولى من حيث انتشارها واسهمها في قائمة الـ (٥٠٠) شركة العالمية. وغيرها من الشركات كـ " شركة رويال داتش شل Royal Dutch Shell " و "مجموعة سينوبك Sinopec Group".^(١)

ويمكن تجسيد دور الشركات متعددة الجنسية وسطوتها في السوق العالمية من حقيقة كون (٥٠%) من تجارة الولايات المتحدة الأمريكية واليابان و (٨٠%) من تجارة بريطانيا هي معاملات بين شركات وفروع للشركات نفسها في دول أخرى. كما تقدر مبيعات الشركة العالمية الأولى (٧٧٠٠) مليار دولار سنوياً، وهي تمثل (٣٥%) من الناتج الاجمالي العالمي الذي يقدر بـ (٢١٨٠٠) مليار دولار في العام نفسه. علماً ان جميع المؤشرات الاقتصادية تشير الى النمو المستمر في هذه النسب وبالتالي تعزيز هيمنة الشركات متعددة الجنسية على الاقتصاد العالمي.^(٢)

ثانياً: الحركات الراديكالية وحركات التحرر الوطني:

عند النظر في ابعاد تلك الحركات نجد ان الطابع المؤسس لها يقوم على مقومات قوة فكرية تستقطب محفزاتها من الواقع الموجود على الأرض، وغالباً ما تكون في صلب الفكر الذي يمس الاعتقاد او العادات والتقاليد ليكون المحور في الفكر الجمعي ومن ثم الانطلاق نحو مشروع ذو ابعاد تتجاوز القوة العسكرية الى ابعاد اجتماعية وسياسية. وإذا ما عدنا الى التشابك الاصطلاحي ما بين الراديكالي والاصولي وحركات التحرر نجدها في المحصلة تصب في نفس بوتقة الإصلاح والتغيير والحفاظ على الأصول المكتسبة التي نشأت عليها تلك الشعوب التي يدافعون عنها او الامة او الأرض.. الخ.

^(١) سعيد الصديقي، الدولة في عالم متغير.. الدولة الوطنية والتحديات العالمية الجديدة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، أبو ظبي - الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨، ص ٧٣.

^(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

الجماعات الاصولية لاسيما التي تحمل توجهاً عالمياً من حيث الفكر والعمل تعد من اكثر المخاطر التي تهدد الامن والسلم الدولي في عالم اليوم ، فالجماعات الراديكالية والاصولية تعمل بمتلازمة البؤر في تنفيذ مخططاتها اينما وجدت مرفأ أو بؤرة تؤيد افكارها فهي تبحث عن الحاضنة وتسير على نمط المظلومية لاستدراج المؤيدين والمناصرين وبالتالي الحشد الفكري الجمعي باتجاه مصالحهم على حساب قضايا الشعوب العادلة ، فهي ليس لها ارض ثابتة نسبياً ولا شعب ولا حكومة ثابتة ، كالدول، حتى يتم استهدافها أو الضغط عليها من قبل الدول ، بل ان استخدام القوة الخشنة المباشرة للقضاء عليها يولد رد فعل مضاد اكثر من الفعل نفسه، بسبب النمط الفكري والعقائدي والبنوية التي اسست عليها، اما حركات التحرر الوطني فهي تقوم في الحقيقة على مبادئ ذات ابعاد محلية غالباً وقد تلجا الى ابعاد إقليمية او دولية للترويج لمشروعها وتدويله عبر أفعال هنا وهناك وللضغط على المجتمع الدولي او المحيط الإقليمي الى إيجاد حلول سريعة لمرحلة الظلم التي تتعرض لها معتقداتهم او ارضهم.

وقد برزت حركات تحرر وطني ذات طابع إسلامي ، فهناك حركات تنتمي فكرياً وعقائدياً الى تيار الإسلام السياسي، وهي عاملة في محيطها الإسلامي وتشكل في الوقت نفسه نواة وعنصراً أساسياً في حركات التحرر الوطني في بلادها ، ومن هذه الحركات على سبيل المثال حركة حماس الإسلامية في فلسطين التي تحكم غزة منذ عام ٢٠٠٧، وهي تعمل على إيجاد مشروع عربي واسلامي متكامل لتحرير ارض فلسطين التاريخية من النهر الى البحر، اذ ان الصراع هو صراع وجود وليس صراع حدود،^(١) وبما ان هذه الحركات لا تمثل بعداً دولياً في استثناءات معينة فإنها لا تعد فاعلاً من غير الدول على غرار القاعدة او تنظيم داعش في قضايا النسق العالمي .

(١) جمال سند السويدي، السراب ، مركز الامارات للدراسات الاستراتيجية ، ط ١ ، دبي - الامارات العربية المتحدة،

٢٠١٥، ص ١٨٧-١٨٨.

ويمكن اخذ نماذج تعددهم الولايات المتحدة الأميركية اهم الفواعل من غير الدول التي تشكل تهديداً وتحدياً على المصالح الاميركية وحلفائها وهي:

تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش):

يُعد تنظيم القاعدة منظمة وحركة متعددة الجنسيات عابرة للحدود وهي ذات توجهات إسلامية وأصولية، ويمكن ان نبين مجموعة من الاسباب التي جعلت من القاعدة فاعلاً في النسق العالمي حيث أصبحت جميع حركتها التغييرية ذات بعد عالمي كونها احدى الفواعل غير الدولية في النظام العالمي الذي تعددت فواعله:

ان المحور الذي تأسس عليه التنظيم هو الاعتقاد الجمعي، تحت شعار كبير تتقبله الازدهان (الاسلامية) وهو الخلافة الاسلامية والحكم بما انزل الله (الحاكمية) واستعادة القدس واستعادة الهيبة للامة الاسلامية بدل الخنوع والتبعية للغرب، لاسيما وان ما جمعهم في افغانستان هو (الجهاد) نصرة المسلمين ضد الشيوعية، بعد ان فتح الباب لهم، وفق دعواتهم التي يستقطبون من خلالها الاتباع.^(١)

وقد جاء التحدي الاكبر لهذه الحركات العالمية في احداث ١١ ايلول ٢٠٠١، وتبني الولايات المتحدة الحرب على الارهاب، اذ كانت هذه الضربة اقوى وقعاً على الولايات المتحدة في البعدين الداخلي والدولي، فهي ليست كهجمات اليابان الجوية على الاسطول الاميركي في المحيط الهادئ (بيرل هاربر) اذ من الممكن الرد على اراضيها، فأحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ تُعد أول ضربة على الداخل الاميركي من قبل الفواعل من غير الدول، ومن هنا جاء دور صانع القرار الاميركي للتعامل مع هذا التحدي، فكان الخيار الأول: ضرب مناطق وبؤر الارهاب (افغانستان) وتجفيف منابع الارهاب والقصاص من الدول المارقة (العراق)، وكانت الوسيلة الخشنة - العسكرية - الاداة الابرز في حشد التحالف الدولي لمكافحة الارهاب. وازداد خطر (الجهاد

(١) ياسر الزعاطرة، من "العدو البعيد" إلى "العدو القريب"، بحث منشور في مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة- قطر، ٢٠١٢\١٢\٦، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط التالي :

<http://www.aljazeera.net/opinions/pages/e2963cdd-0078-4f64-a0b9-f07034d52be7>

تم الاطلاع بتاريخ ٢٠١٦\١١\٢٩

العالمي) بحسب الوصف الاميركي بعد احتلال العراق وافغانستان، فمن ناحية اعلان "بوش الابن" (بانها حرب صليبية على الاسلام)، أصبح العراق مركز استقطاب للقاعدة والجماعات الراديكالية، وانتقل من كونه بلداً خالي من الارهاب الى بلد مصدر للإرهاب. وعلى الرغم من الضربات الموجعة التي منيت بها القاعدة في العراق وفي افغانستان من قبل الولايات المتحدة الاميركية، لاسيما بعد مقتل زعيمها "بن لادن" الا ان الاستجابة كانت تستهدف القاعدة على مستوى القيادات، والواقع الفعلي الذي يشاطره الجميع بان القاعدة التنظيمات ذات التوجه الراديكالي لا تنتهي بنهاية قاداتها.^(١)

إن ما يسمى (الربيع العربي) القى بضلاله على المشهد ليزيد الفجوة بين الاستجابة لتحدي القاعدة وانتشارها، ولعل اكبر دول (الربيع العربي) استقطاباً للقاعدة الذي ولد من رحمه مجموعات اكثر تطرفاً كتنظيم (داعش) في سوريا، بعد ان اصبحت ساحة اقتتال من منطلقين الأول : بطش النظام البعثي (الذي يعدوه ذو منهج علماني) والمنطلق الثاني: الاحتقان الطائفي، ويعد القتال من اجل المذهب هو احد العوامل المهمة، لدى تنظيم القاعدة وحتى حزب الله اللبناني، وبالعراق اصبح سوريا ساحة صراع تارة لأسباب مذهبية واخرى براغماتية مصلحة بالنيابة ما بين القوى الدولية (اميركا -روسيا) والقوى الإقليمية (ايران-تركيا-قطر -السعودية) والفواعل غير الدولية (تنظيم القاعدة العالمي -النصرة -حزب الله اللبناني -وجماعات أخرى).^(٢) الى جانب المعارضة السورية التي لسنا بصدد نقاش مكانتها في الساحة، كل هذه المتغيرات عقدت المشهد وزادت من حدة التحدي سواء من قبل تنظيم القاعدة أو حزب الله اللبناني. وهذا التداخل في الصراع المذهبي الذي تغذيه دول إقليمية وقوى دولية كبرى، عزز الرأي لدى صانع القرار الاميركي بعدم جدوى التغيير بالقوة الخشنة لإسقاط النظام. كون ان ميل الكفة لصالح أحد الأطراف ليس بصالح الولايات المتحدة الاميركية، بل

(١) محمد بن عبد الله الشنقيطي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠ و١٧٧ و١٨٣.

(2) Anthony H. Cordesman , Syria, U.S. Power Projection, and the Search for an "Equalizer", Center for Strategic and International Studies(CSIS),march 2013,p 2(pdf).Seen: 30/1/2016

بقاء الحال على ما هو عليه أفضل المشاهد مستقبلية لا سيما فيما يتعلق (بأمن إسرائيل).

كذلك أصبحت لتنظيم داعش بعد أكثر انتشاراً ما بعد الازمة السورية وما يسمى ثورات الربيع العربي ، لاسيما بعد ان اعلن (الخلافة) وتحويل دولته الافتراضية الى دولة حقيقة قائمة على ارض الواقع بعد السيطرة على مناطق شاسعة من العراق تقدر بأكثر من ثلث مساحته في ١٢\٦\٢٠١٤ ، مما جعل منه رقماً صعباً كأحد الفواعل من غير الدول المؤثرة على الوحدات الدولية الرئيسة حيث انتجت دولة غير معترف بها في هذه المنظومة تعلن حربها على الجميع تحت عنوان كبير من ليس معي فهو ضدي بل انه يحارب ويقا تل ك لمن يقع خارج حدود دولته لاسيما بعد ان وجه دعوته الى كل المسلمين في بقاع العالم الى التوجه الى (دولة الخلافة)، واضطلع هذا التنظيم الى اكبر من ذلك حيث تخلى عن القاعدة وجعل كل التنظيمات السلفية الجهادية خارجة عنه وانها بعيدة عن الحق.^(١)

رابعاً : الأشخاص الفاعلين \ الفرد الفاعل "عابري القوميات":

ان عصر الفاعل الرقمي بكل انماطه جعل من الأشخاص الفاعلين أكثر اتساعاً وتأثيراً، فلم يبقى الإطار التقليدي في التفاعلات الدولية مقصوراً على الدولة او المنظمات الدولية وذلك لان عالمية الانترنت والعولمة جعلت من هؤلاء الافراد بأفكارهم عابرة القومية أكثر استقطاباً لمجموعات من الشعوب في دول مختلفة.

لم يكن الحديث عن الأشخاص الفاعلين في النظام الدولي في القرن العشرين حتى مع نهاية الحرب الباردة لان الصراع الايديولوجي آنذاك كان طاعياً وفق التفكير التقليدي لمدارس العلاقات الدولية، ومع دخول الفاعل الرقمي والتكنولوجي الى كل بيت ويبد كل شخص عبر الهاتف الذكي والحاسوب الذكي اصبح وامسى للفرد تأثير بدون كيان الدولة وهذا التأثير يختلف باختلاف الشخصية الاعتبارية والمعنوية التي يتمتع بها هذا الفرد الفاعل وبحسب الايمان بأفكاره، فبابا الفاتيكان له تأثير ديني على

(١) قارن : عبد الباري عطوان ، القاعدة التنظيم السري ، دار الساقى ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠-٢٨.

العالم المسيحي وبالتالي تعرضه لأي اعتداء او قتل على سبيل المثال سيخلق فوضى عارمة على أساس ديني.

هذا المعيار الذي تحدثنا عنه جعل من (الفرد الفاعل) مكانة مهمة في النظام الدولي، وإذا ما نظرنا على المستوى الإقليمي نجد ان اعدام المملكة العربية السعودية لعالم الدين الشيعي "نمر لنمر" كان له تداعيات على مستوى العلاقات مع ايران وهذا التأثير المعنوي الذي تستغله الدول لتسخير وتنفيذ اجنداتهما ما كان ليكون لولا الفاعل الرقمي المتمثل في الاعلام الفضائي ومواقع التواصل الاجتماعي التي تؤسس حشداً فكرياً جمعياً لاستقطاب القلوب عبر العاطفة الدينية او القومية او المذهبية او العرقية وبالتالي السيطرة على العقول وتوجيه الافراد لتنفيذ المآرب السياسية وفق معطيات المرحلة .

وفي منازعات مع التقليديين في مفكري وعلماء السياسة فان الواقع يثبت ويؤكد بأن المواطن العالمي (Global Citizen) أصبح فاعلاً يحسب له ألف حساب، ويزداد الاهتمام به من كثرة تدخلاته المستمرة محاولة منه إصلاح أوضاع مجتمعه الصغير الدولة وأوضاع مجتمعه الأكبر العالم، بعدما أصبح العالم كقرية صغيرة بعد الثورة التكنولوجية والتقنية والمعلوماتية التي ساهمت في تطوير وترقية مختلف وسائل الإعلام المسموعة منها والمكتوبة والمرئية - قنوات فضائية، ووسيلة الانترنت التي جمعت بين كل أنواع وسائل الإعلام. لقد غذى الانترنت جزءاً من العالم الافتراضي لا يمكن تجاهله، وقد قالها مستشار للرئيس أمريكي قبل سبعة عشر عاماً أن الانترنت سيحقق للعالم ما عجز عن تحقيقه في مجال الديمقراطية ذلك لأنه سيحقق الديمقراطية الكونية.^(١)

^(١) نبيلة بن يوسف ، مستقبل العلاقات الدولية في ظل وجود فواعل جديدة "المنظمات العالمية غير الحكومية" و"المواطن العالمية، على الرابط الاتي :

http://droitmarocma.blogspot.com/2012/10/blog-post_7304.html

وإذا ما أردنا ان ندرج قائمة بأسماء الأشخاص الفاعلين الذين لهم تأثير دولي فانه من الصعوبة بمكان تحديد سماتهم وحصرهم في هذه الدراسة ولكننا بهذا الصدد سوف نأخذ على عاتقنا نماذج متنوعة لها تأثير في القرن الحادي والعشرين:

١- بابا الفاتيكان^(١*): او بابا روما او بابا الكاثوليك، او بابا اللاتين، او بطريرك الكنيسة الكاثوليكية. نائب يسوع المسيح هو أول لقب رسمي في سجل التشريف، ويختصر عادة بلفظ "النائب"، ويستخدم عادة للإشارة لرئاسة البابا للكنيسة على الأرض، يحكم البابا أصغر دولة من حيث المساحة في العالم وتأخذ شكل شبه إهليلجي في قلب مدينة روما عاصمة إيطاليا التي تحيط بها من جميع الاتجاهات ويفصلها عنها أسوار خاصة؛ تبلغ مساحة الفاتيكان (٠.٤٤) كم مربع ويقارب عدد سكانها (٨٠٠) نسمة فقط وتعد بالتالي أصغر دولة في العالم من حيث عدد السكان أيضاً. ورغم كونها أصغر دول العالم سكاناً ومساحةً فهي تستقي دورها وأهميتها من كونها مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم والتي يربو عدد أتباعها على (١.٢٠٠) مليار نسمة.^(٢)

وبالتالي لبابا الفاتيكان سلطة روحية على الديانة المسيحية الكاثوليكية الا ان المكانة التي يتمتع بها كبيرة جداً وهو محور دراستنا في قراءة الفاعل والمؤثر في النظام الدولي، وبالتالي فان كلام البابا له رنين صوفي في اذهان المسيحيين الذين يشكلون النسبة الأكبر في العالم مقارنةً بالديانات الاخرى، هذا التأثير له معاني كثيرة قولية وفعلية ، فكل قول وفعل يظهره البابا فانه له معطى على الأرض، وفي الوقت نفسه ان أي تجاوز او اعتداء تجاه سلطة البابا الروحية او شخصه من قبل جماعة او ديانة

* الفاتيكان: دولة صغيرة لها مكانتها الدينية العالمية، وتسمى بالدولة البابوية أو دولة الكنيسة، وكانت من بين الدول التاريخية الكبرى في إيطاليا من القرن السادس تقريباً وحتى توحيد شبه الجزيرة الإيطالية في عام ١٨٦١ على يدي مملكة بيمونتي سردينيا (استمرت الدولة البابوية في شكل أقل اتساعاً إقليمياً حتى ١٨٧٠. ضمت الدولة البابوية الأراضي الواقعة تحت السيادة البابوية المباشرة، وفي ذروتها غطت معظم الأقاليم الإيطالية الحديثة في رومانيا وأوميريا وماركي ولاتسيو. عادة ما تسمى هذه السلطة بالسلطة الزمنية للبابا.

^(٢) منصور عزمي ، موسوعة اطلس العالم ، دار النور للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بغداد -العراق، ١٩٨٨، ص ١١٠.

سيكون له تبعات وردة فعل كبيرة مما يؤدي الى ارباك وعدم استقرار بالرغم من ثورات الإصلاح التي قضت على سلطة الكنيسة آنذاك وفصلت الدين على السياسة.

٢- جورج سوروس^(١):

هو ملياردير مجري يهودي أميركي - سياسي واقتصادي في الوقت نفسه، تقدر ثروته بأكثر من (٢٣) مليار دولار ففي ٢٠١٤ وضع في المرتبة (٢٧) لقائمة فوربس لأغنياء العالم ويعد في العام نفسه سابع أغنى رجل في الولايات المتحدة الأمريكية، تأتي أهمية هذا الشخص من نفوذه الدولي بل العالمي لاسيما وان الدلائل تشير على قدرته في التحكم باقتصادات دول مختلفة، ويمكن استشفاف تلك القدرة في التأثير من مؤسساته التي يتحكم بها وهي أحد اهم ادواته المهمة في النظام الدولي.

هذه الشخصية جاءت أهميتها من المكانة التي يتمتع بها في الأوساط الدولية، فهو يمتلك أسهم بعدة مؤسسات مالية دولية كبرى مثل "بنك سويسيتيه جنرال - جنرال موتورز - جنرال اليكتريك - أبل - وكذلك هو أحد أكبر المساهمين بـ "فيسبوك" لأنه الأداة الرئيسة في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين لاسيما بعد (ثورات الربيع العربي)، بالإضافة إلي مجموعة من البنوك و الشركات الأمريكية. ويعد "سوروس" مؤسس "صندوق المجتمع المفتوح Soros Open Society" و"مؤسسة سوروس" بالمجر المعروفة بدعهما للتغيير في البلدان الديكتاتورية.

الى جانب ذلك فان هذه الشخصية العالمية لها دور في تمويل المؤسسات التي تستهدف الشباب لذا يعد من أكبر ممول لمنظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان

^(١) ولد جورج سوروس بالعاصمة المجرية "بودابست" في العام ١٩٣٠ وكان اسمه "جورج شوارز" قبل أن يغير والده اسم العائلة في العام ١٩٣٩ إلى "سوروس" خوفاً من النازيين. هاجر "جورج" إلى إنجلترا عام ١٩٤٧ و تخرج في مدرسة لندن للاقتصاد، ثم حصل في العام ١٩٥١ علي بكالوريوس الفلسفة و في ١٩٥٤ علي الدكتوراه بنفس المجال. من اشهر مؤلفاته : كتابي المجتمع المفتوح، وأزمة العولمة الرأسمالية.

-See more at:

<http://al3asemanews.net/news/show/143847#sthash.vgfCX7rf.dpuf>

تم الاطلاع بتاريخ ٢٠١٦\٢\٣

في العالم، وهو المؤثر في النظام السياسي الأميركي وله صدى في صناعة القرار لاسيما في سياسة "أوباما"، وهو الممول الرئيس لمختلف الثورات الملونة.

قام "سورس" في تاريخه بدعم الحركات التحررية بوسط أوروبا وشرقها عبر مؤسسته "المجتمع المفتوح" إبان الحرب الباردة، ويُعد أكبر ممول وداعم للمنظمات غير الحكومية الحقوقية الدولية مثل "فريدوم هاوس" و"الصندوق الوطني للديمقراطية" و"مركز أبحاث كارنيجي" أهم خزانات الفكر الأميركي ويقدم أيضاً تبرعات ضخمة لمنظمة "حقوق الإنسان Human Rights Watch". التي تهتم بحقوق الإنسان الديمقراطية التي تمول بنسبة (٧٥٪) عبر الدعم الحكومي الأمريكية الموجه.

يعد "جورج سوروس" أحد أكبر ممولي (مبادرة الأديان المتحدة URI) بجانب "بيل جيتس" إذ يدعو إلى إقامة نظام عالمي موحد لتوسيع رقعة العولمة التي تتسلل إلى العالم عبر الفاعل الرقمي (عالم واحد و حكومة واحدة و سوق مشترك واحد و جيش واحد وتعليم واحد ودين واحد). ولهذه الشخصية الفاعلة دور في التغيير في اقتصادات الدول الصاعدة، فهو المسؤول الرئيس عن الانهيارات الاقتصادية لدول النمر الآسيوية خلال عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد ان روسيا الاتحادية كقوة كبرى في النظام الدولي قد حظرت مؤسسة خيرية مؤيدة للديمقراطية أسسها الملياردير "جورج سوروس"^(١)، قائلة إن المؤسسة تشكل تهديداً لكل من أمن الدولة والدستور الروسي. وهذا يعني ان الأشخاص العالميين او عابري القوميات لهم تأثير حتى على الدول من مستوى الدول الكبرى وهو ما يعزز نظرتنا بان الفواعل من غير الدول أصبحوا اليوم لهم مكانة ونفوذ في إطار التفاعلات الدولية. وهناك تسريبات من الشخصية المثيرة للجدل "سنودن" يقول انه المسؤول الرئيس لتحريك الشارع في

(١) للاطلاع على الخبر ينظر: صحيفة اليوم السابع، شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط الاتي :

<http://www.youm7.com/story/2015/12/1/>

تم الاطلاع بتاريخ : ٢٠١٦\٤\٣

المنطقة العربية وإدارة التغيير وهو الفاعل في احداث ما يسمى (ثورات الربيع العربي).^(١)

وهذه الحقيقة نختصرها بتأكيد "جورج سورس" على انه شخص فاعل في النظام العالمي وقدم نفسه كزعيم قادر على إحداث تحول عالمي الطابع، ويقول في كتابه "حول العولمة": (إنني أتمتع ببعض الصفات التي تسمح لي بأن اخطط لمصير العالم في المستقبل. فأنا اعرف ماذا تعني العولمة الرأسمالية والأسواق المصرفية الدولية لأنني جربت نفسي فيها ونجحت).^(٢)

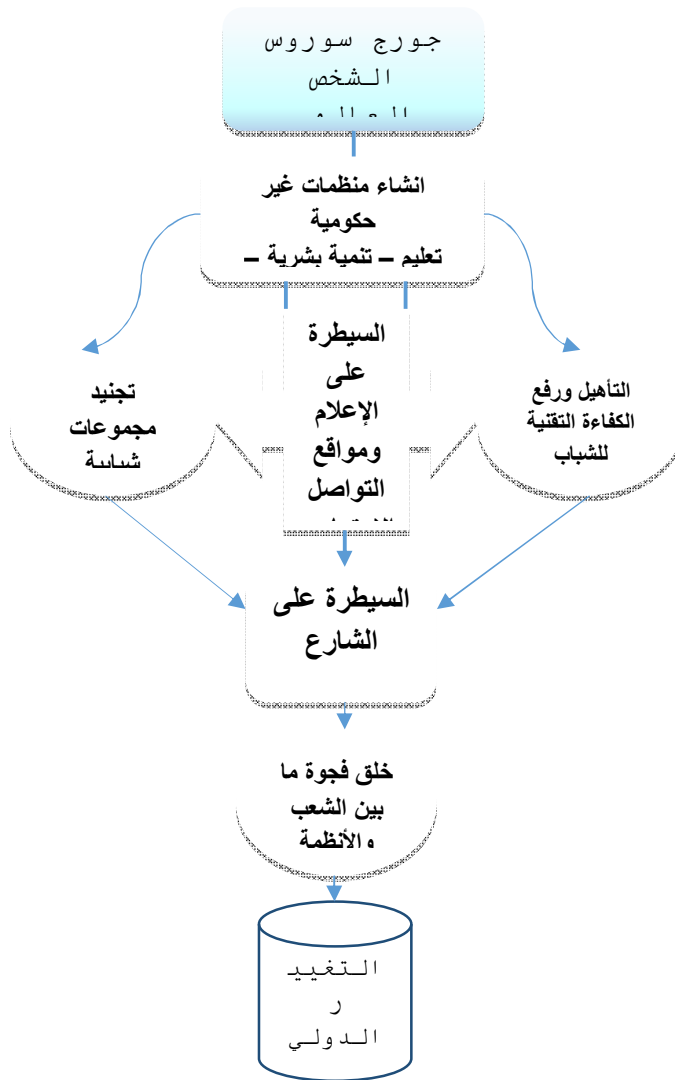
ومن الملاحظ وفق رؤية ثاقبة نجد ان تلاميذ "سوروس" في كل بلدان العالم يرفعون شعار الديمقراطية وتذويب الانتماء للوطن وفق منظومة عالمية مفتاحها الرئيس الولايات المتحدة الأميركية والذين يأخذون منه المال يرفعون شعار "قبضة اليد". وبمراجعة شعارات حركات المعارضة في صربيا وجورجيا وروسيا وفنزويلا سنكتشف أنها جميعها ترفع شعار "قبضة اليد".

(١) عبد الجليل زيد مرهون، جورج سورس وعالم السياسة الأمريكي، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٦، ص

ص ٣

(٢) عبد الجليل زيد مرهون، جورج سورس وعالم السياسة الأمريكي، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٦، ص ص

٣-٤.



شكل رقم (١)
من اعداد الباحث

٣- إدوارد جوزيف سنودن^(١):

هو أحد موظفي وعملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كما انه قد عمل في وكالة الامن القومي الأمريكي التي تمرد عليها ليصنع من المعلومات التي يمتلكها صرحاً إلكترونياً لكشف خفايا المخابرات الدولية بشكل عام والمخابرات الأمريكية على وجه الخصوص عبر موقع ال(ويكيليكس) الذي اشتهر كموقع لفضح الجرائم والانتهاكات التي يقوم بها الجيش الأمريكي وكشف أساليب الاستخبارات الأمريكية وطرق التجسس على الدول وعلى أنظمتها.

وبدأت هذه الشخصية العالمية بالزوغ في حزيران ٢٠١٣ عندما سرب معلومات مصنفة على أنها سرية للغاية من وكالة الأمن القومي، أهمها برنامج (بريزم) إلى صحيفة الغارديان وصحيفة الواشنطن بوست. وهو برنامج سري لوكالة الأمن القومي يعمل على استخراج بيانات المستخدمين المخزنة ضمن أجهزة خوادم شركات إنترنت أميركية كبرى. ويتم تنزيله على أنظمة الشركات ليقدم لها وصولاً مباشراً إلى الخوادم المركزية لمواقع منها "غوغل" و"فيسبوك" و"آبل" و"ياهو" و"إيه أو إل" و"سكايب" و"يوتيوب" و"مايكروسوفت"، لاستخراج رسائل بريد إلكتروني ومكالمات صوتية ومقاطع فيديو وصور واتصالات أخرى لعملاء تلك الشركات دون الحاجة إلى أمر قضائي والذي بات يتقنه، فهو يملك الداء ويملك المصل والعلاج في سد الثغرات في العالم الرقمي.^(٢)

هذه الظاهرة الجديدة التي تمثلت بشخصية "سنودن" هزت الولايات المتحدة الأمريكية التي تتربع قمة الهرمية الدولية في النسق الدولي لاسيما بعد فرار العميل الى هون كونغ ومن ثم الى روسيا الاتحادية ، مما خلف ازمة كبيرة بين الولايات المتحدة

* شخصية لم توفق في مجالها التعليمي فهو لا يملك شهادة ثانوية الا انه كان موهوب في مجال الحاسبات وذو معرفته موسعة بالإنترنت وبرمجة الكمبيوتر تمكن من التقدم بسرعة في وظيفته بعد ان كان حارساً في أحد ابنية وكالة الامن القومي بالنسبة لشخص لم يحصل على شهادة ثانوية.

(2) Edward Snowden: Leaks that exposed US spy programme, BBC, 17 January 2014, see more at:

<http://www.bbc.com/news/world-us-canada-23123964>

Too: Free snowden , see more at :

<https://edwardsnowden.com/>

الأميركية وروسيا الاتحادية ، اذ دانت الخارجية الأميركية التصرف الروسي وايواء المطلوبين الى بلادها، ومما يدل على حجم المعلومات المؤثرة على هيئة الولايات المتحدة الأميركية صرح رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب "مايك رودجرز" (إن ٩٥%) من المعلومات التي حصل عليها "سنودن" ذات طابع عسكري، وهي تكتيكية واستراتيجية، ونعتقد أنها باتت بأيدي الروس.^(١)

وهذا ما يؤكد التطور التكنولوجي قد صنع من الأشخاص فواعل كثيرة جديدة تشكل تحدياً للدول حتى المتقدمة منها، اذ بإمكان أي شخص ان يكون مؤثر في النظام الدولي إذا ما اتقن ادواته وخفاياه.

خامساً: الجمادات المقدسة*:

تعد هذه الدراسة الأولى في تحديد هذا النوع من الفواعل الذي لم ينتبه اليه المختصون في العلاقات الدولية، اذ ان الاهتمام منصب على المكامن الحية للشخصية الفعلية والمعنوية المتمثلة بالفرد او الشعب الذي يعد الركن الرئيس من اركان الدولة والتي تمثل الوحدة الرئيسية في النظام الدولي، اما الجمادات المقدسة فهو مفهوم جديد لا تعبره المدرسة الواقعية أي أهمية لان الحياة تكمن مع الاحياء، فما قيمة الأموات والجمادات في منظورهم. ولكن هناك وقائع واحداث تؤكد فرضيتنا في أهمية الجمادات المقدسة او التاريخ المقدس الذي تناقلته الأجيال عبر الفكر الديني المتمثل بالحلقات والدروس والمنابر الى جانب الكتب والروايات التي تتداولها الدواوين والبيوت للتعبير عن التنشئة الدينية التي ترتبط بالأيمان المطلق وفق العقيدة الموروثة لا المكتسبة.

(١) تقرير: سنودن سلم وثائق أميركية للروس، شبكة سكاي نيوز العربية، على الرابط الاتي:

<http://www.skynewsarabia.com/web/article/606665>

تم الاطلاع بتاريخ : ٢٠١٦\١١\٢٢

* جميع ما ورد في هذه الفقرة انما هو استنباط من لدن الباحث واستقراء وتحليل وفق المعايير المنهجية الاكاديمية ولم يتم الاعتماد على أي مصدر عربي او اجنبي في هذا الصدد، وهذا الاجتهاد انما اريد به ان تكون إضافة متواضعة لتنمية وتطوير حقل العلوم السياسية الذي نهل منه كل يوم ونضع فيه لمساتنا لاستشراف المستقبل.

وقبل الولوج في اتون هذا الفاعل الغامض في ميدان العلوم السياسية، فانه من المهم تعريف الجمادات المقدسة لفهم المضامين وبالتالي سبب دخوله كفاعل في النظام الدولي.

الجمادات المقدسة: المقدس^(١) في اللغة (شيء مبارك يبعث في النفس احتراماً وهيبة) وهو عكس المدنس، فالمكان المُقَدَّس لها أهمية في كل الديانات وجاء في كتاب الله العزيز في قوله تعالى: {فَاَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} (٢) ومن الأراضي المقدسة: أرض فلسطين، البيت المقدس: بيت المقدس، وكذلك يستمد من ذلك الحق المقدس وبالتالي فان المبدأ القائل بأن الملوك يستخدمون الحق في الحكم مباشرة من الله وأنهم عرضة للمحاسبة من الله وحده.

اما الجمادات فهي كل شيء ليس فيه روح بالمعنى العلمي والصوفي، وهو قسم من أقسام الكائنات، وهو ما لا ينمو ولا حياة له، على خلاف الإنسان، والحيوان، والنبات، فنقول أرض جماد: لا حياة فيها، قاحلة، لا مطر فيها. وبالتالي يمكن تعريف المجمل للجمادات المقدسة بانها الموروثات المادية التي لها مكانة دينية في عقيدة مجموعة من الناس لها قدسية لرفات نبي او ولي او عالم او مفكر او مؤول، يستقون ايمانهم من أقواله وافعاله وما يقره في حياته وتختلف تلك القدسية بحجم المؤمنين بذلك وبالتالي يكون التأثير بحسب الكتلة السكانية والرقعة الجغرافية وصولاً الى المقررات والمتبنيات الفكرية التي تدافع عن المعتقد.

اما عن كيفية كون هذه الجمادات المقدسة فاعلاً فإننا سنطرح وقائع ومصاديق وافتراضات في استقراء لهذا المفهوم الجديد في العلاقات الدولية:

الواقعة الأولى الملموسة: تفجيرات الامامين (علي الهادي والحسن العسكري) في سامراء في فبراير\شباط ٢٠٠٦، الذي له قدسية لدى (الشيعية) اسفر عن اشتعال

(١) تشير الكلمة اللاتينية sacer التي اشتق منها مصطلح sacred (المقدس)، إلى التمييز بين ما هو متعلق بالآلهة وما لا علاقة له بها.

(٢) سورة طه : الآية ١٢ .

حرب أهلية طائفية ما زال العراق يعاني من اثارها السلبية مما أدى الى الاخلال بالأمن والاستقرار الداخلي للعراق وبالمحيط الإقليمي لأنه اشعل موجة من السخط الشعبي (الشيوعي) لاستهداف المقدس (للشيعة) والجماد لغير المؤمنين، فالعلماني وغيره يعلم قداسة ذلك لدى (الشيعة) وكذلك الاكاديمي والمفكر والواقعي لكنه لا يؤمن بانه فاعل بيد ان الوقائع شهدت بعكس ذلك، وبالتالي لو افترضنا ان القدس تتعرض للهدم من قبل اليهود فان ذلك سيعني اشتعال المنطقة باسرها بموجة من العنف المقبول وتهديد المصالح الغربية التي تعد في ذهن المسلمين انها السبب في قيام (دولة إسرائيل) على الأرضي الفلسطينية، وبالتالي سيكون المسلمين في بلد الجنسية المكتسبة خطر على الامن القومي الأمريكي او اوروبا مما يجعل من المكان المقدس فاعل في النظام الدولي بالاعتماد على الشعور العاطفي الديني او المذهبي.

ويمكن وضع افتراضات وتطبيقات كثيرة في هذا المجال ولا ينعكس على المسلمين فقط وانما على جماعات أخرى فالمسلمين لديهم مقدسات هي جزء من الأصول والثوابت وهي (بيت الله الحرام - الكعبة المشرفة) وما دونها يختلفون عليها باختلاف التنوع المذهبي وبالتالي اختلاف درجة القداسة وصولاً الى حجم الكتلة السكانية المؤمنة بذلك المكان (الجماد) المقدس.

ويمكن الوقوف على خاطرة بسيطة في الصراع في سوريا فمع الشرارة الأولى للثورة السورية في عام ٢٠١١ لم تكن الصورة واضحة من حيث الاتجاهات ، وكان السائد في ذلك روح التغيير الشعبي ضد الدكتاتوريات وبالتالي البحث عن الحريات والديمقراطية وحق المواطنة، لكن مع ردات الفعل العنيفة من قبل النظام السوري وأدواته خلق بؤر جديدة ذات أيديولوجيات دينية وقومية متقاطعة تحمل رايات مختلفة وليس هذا موضع حديثنا بقدر الوقوف على المشهد السوري عندما استغلت ايران الجماد المقدس في وجهة النظر الاكاديمية (مرقد السيد زينب) لاستثارة العواطف ودغدغة المشاعر واستقطاب الاتباع من (الشيعة) من كل بلاد العالم من باكستان - أفغانستان - الهند - العراق - لبنان - اليمن - السعودية - البحرين .. الخ ، للدفاع عن هذا المقدس فأصبحت البوصلة في حشد الكتل البشرية عبر هذا المقدس،

وبالتالي جاءت الفرضية وفق هذه المعطيات مطابقة لما تم طرحه في ثنايا دراستنا، وما اريد الوصول اليه انه من يمتلك مفاتيح التغيير واشعال الحرب (الفتن) يتخذ من هذه الجمادات وسيلة لخلق حرب طويلة طاحنة لا تبقي ولا تذر تغيب عنها قوانين الحرب في كل الأعراف انها الحرب الاهلية ذات الطابع المذهبي والطائفي، فالهاء الاخر مهمة سهلة عبر القيام بتفجير مرقد او معبد واتهام الاخر عبر وسائل التواصل الاجتماعي امر شديد السهولة فالمجتمع الافتراضي يخلق القناعات اكثر من المجتمع الواقعي الذي يطول فيه صنعة ملحمة التغيير المنشود من قبل قوى التغيير الفاعلة المتمثلة بالدولة عبر منظمات سرية لها إمكانية وطاقات فكرية كبرى تتحكم بهذا العالم الرقمي وتمتلك ادواته المؤثرة في الوقت نفسه.

والمتجلي في ذلك الفاعل الرقمي الذي اطر التحشيد والدعم باتجاه تعزيز الدفاعات وتفخيم المقدسات عبر الايمان بالغيبات من التبجيل بالفضائل للدفاع وحماية ذلك المقدس وتقديم كل وفورات الترغيب والترهيب الجنة والنار في النصرة او عدمها لهذا المقدس.

الخاتمة:

رغم ان موضوع النظام الدولي هو من أكثر المواضيع التي اهتم بها مفكرو العلاقات الدولية الا انه الكثير من الدراسات لم تستطيع ان تلاحق المتغيرات لاسيما في القرن الحادي والعشرين في ظل الانكشاف الاستراتيجي ما بعد الموجة الثالثة ثورة "الفاعل الرقمي" وهذا الأخير أدخل بالمفاهيم التي لم تعد تستطيع ملاحقة المصاديق والمعقولات البقينية التي نريد ان نصل اليها في البحث عن الحقيقة او أجزاء الحقيقة المفقودة.

وبالتالي قد انتج لنا العالم الرقمي فواعل جدد تتناسب والتفاعلات الدولية التنصارية والتنافسية والتعاونية، وهذا الثالوث افرز لنا مخرجات كثيرة يمكن ان نضعها في زوايا معنونه لكي يسهل علينا رصدنا في المجال الاكاديمي وبالتالي نجد ان النظام الدولي قد انتقل الى العالمي فيطلق عليه في الدراسات الاكاديمية للعلاقات الدولية

اصطلاح النظام عالمي، فهو لم يعد يقتصر على الدولة فحسب بل تعدى ذلك فواعل لادولائية منها ذات بعد اقتصادي كل الشركات متعددة الجنسيات منها ذات بعد ديني كالحركات الراديكالية الدينية ذات البعد الديني كتنظيم القاعدة وداعش ومنها ذات بعد سياسي كالأفراد الفاعلين كجورج سورس وادورد سنودن .. الخ ، وبالتالي فان هذا الانفجار الكبير للثورة المعلوماتية والانكشاف الاستراتيجي في ظل فقدان قيمة السيادة الجغرافية جعلنا امام وجهتي نظر حول مكانة الدول امام الفواعل الجدد اللادولائية الأول : مازالت مصره على ان الدولة هي الفاعل الرئيس وان مفهوم السيادة مازال قائما رغم كل التحديات التي تقف امامها وهي النظرية الواقعية التقليدية ، اما الوجهة الأخرى فترى ان الدولة قد تلاشت ولم يبقى سوى المفهوم لان مفهوم السيادة والاطار الجغرافي اصبح حداً هلامياً يمكن اختراقه من خلال الجندي وبالتالي الجيوش الالكترونية التي لا يردعها قوة الا قوة المعلومة والفكرة المضادة .

بين هاتين الفكرتين نقول انه من السابق لأوانه البت بالقول ان الدول بحدودها وجغرافيتها أصبحت شيئاً مهجوراً، فان العولمة التي فككت الروابط المجتمعة بالدول والتي خلقت فجوة ما بين الأنظمة وشعوب الدول واذابة الكثير من الأفكار القومية التي أقيمت على أساسها الدول، فانه بالمقابل نحن ما زلنا لا نعيش في عالم بلا حدود فما زالت للحدود شأن كبير في مختلف المجالات والصعد، فالدولة ما زالت تمتلك عناصر قوية تجعلها قائمة وهي تتكيف مع المتغيرات الامر الذي يجعلها الفاعل الأساسي في النسق الدولي.

لكن هذا لا يعني انها تراجعت امام الفواعل من غير الدول فقد افرز لان العصر الرقمي الفرد الفاعل والفاعل الرقمي والحركات الراديكالية ذات البعد العالمي التي تتكى على الأخيرة للتجنيد والاستقطاب بل ان البعض منها اصبح لها تأثير أكثر من الدول نفسها كتنظيم داعش الذي تسلق سلم الدولة الافتراضية في ظل معطيات معينة الى فرض دولته الواقعية في العراق وسوريا ليستقطب من معظم دول العالم أكثر من ٥٠ الف مقاتل ومتعاون في مدة لا تتجاوز عام، الى جانب ذلك افرزت لنا التجاذبات الدينية والمذهبية الى ظهور فاعل لم يكن بالحسبان وهو الجمادات المقدسة التي

ممكّن ان تسقط دول تخلق اللا استقرار في دقائق في الدول كما حصل في العراق في عام ٢٠٠٦ في تفجير مرقد الامام العسكري في سامراء.

وبالمحصلة وفي قراءة استراتيجية نستطيع القول ان النظام\النسق العالمي سوف يبقى قائم على الدولة والمنظمات الدولية كفواعل رئيسة وبالوقت نفسه فانه سيبقى يولد لنا فواعل لا دولانية في تفاعلاته مع سهولة استخدام التكنولوجيا الرقمية من قبل الافراد على كوكب الأرض.

New International Factors of Twenty First Century

Abstract:

There are many non-traditional additions to the influential works in the international or international context, which have expanded and become very large.

Some of them have not entered into this field of international relations. Hence the need to supplement, renew and add new concepts

There digital (electronic) factor, has become the key to the hard and soft domination of international units, and an important input in international relations, especially the twenty-first century. We have been able to explore the reality of the international interaction based on (cooperation, competition, conflict).

In conclusion, the global system will remain state-based and international organizations. At the same time, it will continue to be born and no states in its interactions with the ease of use of digital technology by individuals on the planet.

